جهود المفسرين الكوفيين في القرآن الكريم

م.د.حسن كاظم أسد الخفاجي
كلية التربية /جامعة ميسان

الخلاصة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأطهار، وبعد..

نزل القرآنُ الكريم بلسانٍ عربي مبين، وكان رسول الله هو من تولى تُفَسّير ما أشكل من معانيَ مفردات القرآن الكريم وتراكيبه، كما بَيَّن غريب ألفاظَه، وكان الصحابة الذين عاصروا نزول القرآن الكريم، وشهدوا أسباب هذا النزول، تميزوا بالفصاحة والمقدرة الفطرية على فَهْم مواقع كَلِمِه ومعاني نَظْمِه، إلا أن في هذه الفترة لم يُدَوَّن شيءٌ من تفسير القرآن الكريم إلا ما أوثر وهولا يتجاوز رواياتٍ معظمُها أقربُ إلى التفسير اللغوي كأقوالٌ ابن عباس.

وبعد وفاةِ النبي تَوَجَّه أهل البيت والصحابة إلى الأمصار، لينشروا علوم التفسير فيها، ويجيبون عن أسئلة الناس الذين دخلوا في دين الله، وبالتالي تبلور هذا النشر في تكوين مدارس في التفسير، تتلمذ فيها كبارُ التابعين الذين أخذوا عن الصحابة أنفسهم، أو عن تلاميذهم، ومن هذه المدارس مدرسة مكة، التي تصدَّر فيها الصحابي عبد الله بن عباس وأخذ عنه سعيد بن جبير وعكرمة، ومدرسة المدينة التي كان رأسها أُبَيٌّ بن كعب، وأخذ عنه السُّلَمي وأبو العالية، ومدرسة العراق، بشقيها النصي والذي يمثله أهل البيت والاجتهادي والذي تَصَدَّر فيه عبد الله بن مسعود، وبرز فيها الشعبي وقتادة، ولا يخفى أن مدرسة أهل البيت هي القطب الذي تدور عليها رحى المدارس التفسيرية جميعها، فالإمام علي هو رأس علم التفسير واليه ينتهي، ناهيك عن أهل البيت الذين هم الامتداد لعلي بن أبي طالب a كمدرسة الإمام الباقرa والإمام الصادق.

وكان أصحابُ هذه المدارس يعودون في تفسيرهم إلى: القرآن، والسنة، ومنطوق اللغة، والاستدلال، والاستنباط، وقد شهدت هذه المدارسُ بواكيرَ تدوينِ التفسير لدى التابعين، وتَرَكَ أعلامُها طائفةً من الإملاءات والمصنفات التي، ومن هذه الإملاءات ما أملاه مجاهد وما أملاه الحسن البصري، وكتب سعيد بن أبي عروبة التفسير عن قتادة، وتفسير السُّدي وتفسير مقاتل بن سليمان،

وتفسير ابن جريج، وتفسير شعبة بن الحجاج، وتفسير سفيان الثوري، وتفسير وكيع ، وتفسير سفيان بن عُيينة.

ولكن هذه التفاسير لم تكن شاملة لجميع سور القرآن الكريم، ولا يخفى أن الحاجة إلى التفسير تزايدت كلما ابتعدنا عن عصر النزول، كما بدت ضرورة التدوين لحفظ التراث، ولما كان التفسير في بواكيره الأولى فقد جاء مختلطاً مع علم الحديث، إلى أن استقر علما قائماً بنفسه، له آلياته وأدواته وأسسه وضوابطه وآدابه.

ولما كان القرآن الكريم عربياً كان لابد لمن يدخل الإسلام أن يحسن اللغة العربية؛ لأن الصلاة وهي من أهم الأعمال لا تؤدى إلا بذلك، فكيف بالذي يخوض غمار التفسير؛ لهذا وذاك وضع علماءُ الأمة شروطاً للمفسِّر، ولذلك بدأ التفسير منذ بداياته الأولى لغوياً، وليس عجيباً أن ينهض علماء الدراسات اللغوية لخدمة تفسير القرآن وتمييز مفرداته، وبيانِ أساليبه، وتوجيه قراءاته كأبي عمرو بن العلاء، والخليل، والكسائي وسيبويه، فقد وضع هؤلاء مصنفاتهم في تفسير المفردات، والاستدلال على معانيها بشواهد من لغة العرب ولهجاتها؛هذا في القرنين الأولين الهجريين وفي القرن الثالث الهجري، من مثل الفراء والأخفش والمازني والسجستاني والرياشي، وهؤلاء وضعوا بدايات التفسير التحليلي، كتفصيلٍ لمفردات القرآن الكريم من أسماء وأفعال وأدوات، وتقديرٍ للمحذوف من آيات التنزيل، وحلٍّ لمُشْكل إعرابها، وتوجيهٍ لقراءاتها، مما يوجب وضعه ضمن كتب التفسير اللغوي.

إن أهمية القرآن الكريم البلاغية والتشريعية لها الأثر العظيم في نفوس المسلمين في ترغيبهم للتدبر والتأمل فيه؛ وأن ينهلوا من عذب علمه، وأن يتدبروا آياته في فهمه وتفسيره، ثم معالجة شتى علومه، واستخراج جملة من كنوزه، وقد تولى هذه المهمة مدارس لها الدور الريادي في تفسير القرآن الكريم وحفظ علومه وسبر ما في أغواره، وإظهار بيانه، ورصد أبعاده من بلاغة، وكشف ما في سوره من إعجاز، واستنباط ما في آياته من تأويل، وتمثل جهود المفسرين الكوفيين جدية واستيعاب وأصالة يصل بها إلى أن تكون الذروة من بين الجهود العلمية من النتاج البشري؛ لأن الكوفة هي من أبرز حواضر العالم الإسلامي إثراءً وعلماً، وأعظمها شهرة، كما أنها مركز استقطاب للعدد غير قليل من العلماء، ولم تقتصر الكوفة في طرح نتاجها في التفسير وعلوم القرآن وحسب بل شمل جميع العلوم الإنسانية سواء أكانت عقلية أم نقلية.

إن جهود المفسرين الكوفيين كانت تكشف عن أصالة في خدمة القرآن العظيم، معتمدين على القرآن الكريم نفسه، والسنة الشريفة، وما أثر من لسان العرب، وأسباب النُّزول، والقراءات وشعر العرب، يبدو من خلال البحث أن تفسير الكوفيين اعتمد أيضا على تفسير الرأي والاجتهاد. وقد جاء هذه الدراسة في محورين:

الأول: جاء بعنوان: نشأة التفسير، وكان مدار الحديث دراسة تاريخية عامة للتفسير في الكوفة، وأبرز المفسرين الكوفيين.

الثاني: دراسة تطبيقية لجهود المفسرين، وفي هذا المحور، محاولة لمعرفة خصائص التفسير في الكوفة، وإبراز أثر الفكر الإسلامي في تفسير القرآن الكريم من خلال دراسة أهم التفاسير التي ظهرت في مدرسة الكوفة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأطهار، وبعد..

نزل القرآنُ الكريم بلسانٍ عربي مبين، وكان رسول الله هو من تولى تُفَسّير ما أشكل من معانيَ مفردات القرآن الكريم وتراكيبه، كما بَيَّن غريب ألفاظَه، وكان الصحابة الذين عاصروا نزول القرآن الكريم، وشهدوا أسباب هذا النزول، تميزوا بالفصاحة والمقدرة الفطرية على فَهْم مواقع كَلِمِه ومعاني نَظْمِه، إلا أن في هذه الفترة لم يُدَوَّن شيءٌ من تفسير القرآن الكريم إلا ما أوثر وهولا يتجاوز رواياتٍ معظمُها أقربُ إلى التفسير اللغوي كأقوالٌ ابن عباس.

وبعد وفاةِ النبي تَوَجَّه أهل البيت والصحابة إلى الأمصار، لينشروا علوم التفسير فيها، ويجيبون عن أسئلة الناس الذين دخلوا في دين الله، وبالتالي تبلور هذا النشر في تكوين مدارس في التفسير، تتلمذ فيها كبارُ التابعين الذين أخذوا عن الصحابة أنفسهم، أو عن تلاميذهم، ومن هذه المدارس مدرسة مكة، التي تصدَّر فيها الصحابي عبد الله بن عباس وأخذ عنه سعيد بن جبير وعكرمة، ومدرسة المدينة التي كان رأسها أُبَيٌّ بن كعب، وأخذ عنه السُّلَمي وأبو العالية، ومدرسة العراق، بشقيها النصي والذي يمثله أهل البيت والاجتهادي والذي تَصَدَّر فيه عبد الله بن مسعود، وبرز فيها الشعبي وقتادة، ولا يخفى أن مدرسة أهل البيت هي القطب الذي تدور عليها رحى المدارس التفسيرية جميعها، فالإمام علي هو رأس علم التفسير واليه ينتهي، ناهيك عن أهل البيت الذين هم الامتداد لعلي بن أبي طالب كمدرسة الإمام الباقر والإمام الصادق.

وكان أصحابُ هذه المدارس يعودون في تفسيرهم إلى: القرآن، والسنة، ومنطوق اللغة، والاستدلال، والاستنباط، وقد شهدت هذه المدارسُ بواكيرَ تدوينِ التفسير لدى التابعين، وتَرَكَ أعلامُها طائفةً من الإملاءات والمصنفات التي، ومن هذه الإملاءات ما أملاه مجاهد وما أملاه الحسن البصري، وكتب سعيد بن أبي عروبة التفسير عن قتادة، وتفسير السُّدي وتفسير مقاتل بن سليمان،

وتفسير ابن جريج، وتفسير شعبة بن الحجاج، وتفسير سفيان الثوري، وتفسير وكيع ، وتفسير سفيان بن عُيينة.

ولكن هذه التفاسير لم تكن شاملة لجميع سور القرآن الكريم، ولا يخفى أن الحاجة إلى التفسير تزايدت كلما ابتعدنا عن عصر النزول، كما بدت ضرورة التدوين لحفظ التراث، ولما كان التفسير في بواكيره الأولى فقد جاء مختلطاً مع علم الحديث، إلى أن استقر علما قائماً بنفسه، له آلياته وأدواته وأسسه وضوابطه وآدابه.

ولما كان القرآن الكريم عربياً كان لابد لمن يدخل الإسلام أن يحسن اللغة العربية؛ لأن الصلاة وهي من أهم الأعمال لا تؤدى إلا بذلك، فكيف بالذي يخوض غمار التفسير؛ لهذا وذاك وضع علماءُ الأمة شروطاً للمفسِّر، ولذلك بدأ التفسير منذ بداياته الأولى لغوياً، وليس عجيباً أن ينهض علماء الدراسات اللغوية لخدمة تفسير القرآن وتمييز مفرداته، وبيانِ أساليبه، وتوجيه قراءاته كأبي عمرو بن العلاء، والخليل، والكسائي وسيبويه، فقد وضع هؤلاء مصنفاتهم في تفسير المفردات، والاستدلال على معانيها بشواهد من لغة العرب ولهجاتها؛هذا في القرنين الأولين الهجريين وفي القرن الثالث الهجري، من مثل الفراء والأخفش والمازني والسجستاني والرياشي، وهؤلاء وضعوا بدايات التفسير التحليلي، كتفصيلٍ لمفردات القرآن الكريم من أسماء وأفعال وأدوات، وتقديرٍ للمحذوف من آيات التنزيل، وحلٍّ لمُشْكل إعرابها، وتوجيهٍ لقراءاتها، مما يوجب وضعه ضمن كتب التفسير اللغوي.

إن أهمية القرآن الكريم البلاغية والتشريعية لها الأثر العظيم في نفوس المسلمين في ترغيبهم للتدبر والتأمل فيه؛ وأن ينهلوا من عذب علمه، وأن يتدبروا آياته في فهمه وتفسيره، ثم معالجة شتى علومه، واستخراج جملة من كنوزه، وقد تولى هذه المهمة مدارس لها الدور الريادي في تفسير القرآن الكريم وحفظ علومه وسبر ما في أغواره، وإظهار بيانه، ورصد أبعاده من بلاغة، وكشف ما في سوره من إعجاز، واستنباط ما في آياته من تأويل، وتمثل جهود المفسرين الكوفيين جدية واستيعاب وأصالة يصل بها إلى أن تكون الذروة من بين الجهود العلمية من النتاج البشري؛ لأن الكوفة هي من أبرز حواضر العالم الإسلامي إثراءً وعلماً، وأعظمها شهرة، كما أنها مركز استقطاب للعدد غير قليل من العلماء، ولم تقتصر الكوفة في طرح نتاجها في التفسير وعلوم القرآن وحسب بل شمل جميع العلوم الإنسانية سواء أكانت عقلية أم نقلية.

إن جهود المفسرين الكوفيين كانت تكشف عن أصالة في خدمة القرآن العظيم، معتمدين على القرآن الكريم نفسه، والسنة الشريفة، وما أثر من لسان العرب، وأسباب النُّزول، والقراءات وشعر العرب، يبدو من خلال البحث أن تفسير الكوفيين اعتمد أيضا على تفسير الرأي والاجتهاد. وقد جاء هذه الدراسة في محورين:

الأول: جاء بعنوان: نشأة التفسير، وكان مدار الحديث دراسة تاريخية عامة للتفسير في الكوفة، وأبرز المفسرين الكوفيين.

الثاني: دراسة تطبيقية لجهود المفسرين، وفي هذا المحور، محاولة لمعرفة خصائص التفسير في الكوفة، وإبراز أثر الفكر الإسلامي في تفسير القرآن الكريم من خلال دراسة أهم التفاسير التي ظهرت في مدرسة الكوفة.

المطلب الأول:

نشأة التفسير

أ-نظرة تاريخية للتفسير في الكوفة:

تبرز أهمية التفسير من خلال ارتباطه بالنص القرآني، والنص القرآني هو أجل وأشرف الموضوعات وأقدسها، قال تعالى: ((وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ))[1]، فقد أحتوى العلوم الشرعية من أصول العقيدة وقواعد الشريعة، والأخلاق، وأسس السلوك، وفيه تنوع في الدلالة من الصريح والكناية والحقيقة والمجاز والخاص والعام والمطلق والمقيد والمنطوق والمفهوم وما يفهم بالإشارة وما يفهم بالعبارة، والناس متفاوتون في الفهم والإدراك، فمنهم من لا يدرك إلا المعنى الظاهر القريب، ومنهم من يغوص على المعنى العميق البعيد [2].

لهذا كله كان المسلمون في حاجة إلى التفسير حتى يحسنوا فهمه ويحسنوا العمل به، والله تعالى طلب منهم التدبر، فتحريض المؤمنين على حسن فهم القرآن والاعتبار به أمر ضروري في إدامة الحياة، فالقرآن دستور المسلمين، وهو وسيلة التذكر والاعتبار، وعن طريقه يتوصل إلى الهداية بالعبادات والمعاملات والأخلاق والعقائد، والفوز بخير الدنيا والآخرة.

نزل القرآن بلغة العرب، فأعجزهم بفصاحته، وبأساليبه البليغة، ومعانيه المتفردة، وخاطب الناس جميعاً، ففهموا خطابه، وعرفوا مراميه العامة، ولكن هناك دقائق قد استغلقت على الجميع فتولى الرسول الكريم بيانها وتوضيحها فكان مفسراً ومبيناً ومرجعاً، قال تعالى: ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ))[3] ، لكن الرسول لم يتول تفسير جميع آيات القرآن الكريم تفسيراً مفصلاً، بل بين معاني القرآن لأصحابه، كما أنه لم يبين كل معاني القرآن الكريم، وإنما فسر بعض المغيبات التي أخفاها الله عنهم وأطلعه عليها وأمره ببيانها لهم، وفسر لهم أيضاً كثير مما يعلمه العلماء ويرجع إلى اجتهادهم، كبيان المجمل، وتخصيص العام، وتوضيح المشكل، وما التبس في فهم المراد وكل ما خفي معناه[4].

وبعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى، ودخول قوميات أخرى في الإسلام وما طرحته من ثقافات ومعتقدات وفلسفات وافدة، أدى إلى ظهور مشكلات ومستحدثات لم تكن في عهد الرسول

أستوجب على الصحابة القيام بأعباء هذه المهمة فبذلك تولى التفسير من بعده أهل بيته، ثم الصحابة والتابعون لهم بإحسان، ولكن تفاوت قابليات الصحابة في الفهم والاستيعاب أمر واضح وطبيعي، وهذا ما انعكس على تفاوت مراتبهم في الحفظ والفهم والعلم،

ب-أبرز المفسرين الكوفيين.

عندما انتشر الإسلام في البلاد المفتوحة، نشر المسلمون العلوم والمعارف التي تلقوها عن الرسول الأكرم، وإن من المميزين في التفسير أهل البيت وعلى رأسهم الإمام علي [٥]، والصحابة مثل إبن مسعود[٦]، وأبو موسى الأشعري[٧]، وسلمان الفارسي[٨]، والبراء بن عازب[٩]، وكان مما جعلهم يتفوقون في هذا المضمار هو قوة لغتهم، وإحاطتهم بمناحيها وعدم من الاجتهاد وتقري ما وصلوا إليه، ومخالطتهم النبي الأكرم مخالطة مكنتهم من معرفة أسباب النزول والمناسبات التي نزلت فيها الآيات. فكانوا أساس تكوين مدرسة الكوفة والتأصيل لعلم التفسير، ثم تلقى التابعون عنهم علم التفسير ونشروه بين الناس، فضلاً عن غيرهم من الصحابة الذين استوطنوا الكوفة ونشروا علمهم .

ومنهم أيضا علقمة النخعي(ت٦٢هـ) روى عن علي وعمر وعثمان وابن مسعود وأبي الدرداء، وعائشة، وعبد الله بن مسعود[١٠].

ومسروق بن الأجدع (ت٦٣هـ) روى عن الخلفاء الأربعة، وابن مسعود وأبي بن كعب[١١].

والأسود بن يزيد (ت٧٤هـ) روى عن الخلفاء الأربعة وعن بلال وعائشة ومعاذ[١٢].

ومرة الهمذاني (ت ٧٦هـ) روى عن الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وروى عنه الشعبي[١٣].

وسعيد بن جبير (ت٩٤هـ) سمع ابن عباس وابن عمر وعبد الله بن المغفل[١٤].

وإبراهيم النخعي (ت٩٦هـ) وهو رأس مدرسة الرأي[١٥].

وعامر الشعبي (ت ١٠٣هـ) روى عن الخلفاء الأربعة ولم يسمع منهم حافظة يتحرج على القول برأيه بكتاب الله ويتوقف إذا سئل إذا لم يكن عنده شيء من السلف[١٦].

وقيس بن مسلم(ت ١٢٠هـ)، روى عن سعيد بن جبير، وعن طارق بن شهاب وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وروى عنه الشعبي والأعمش[١٧].

وزيد بن علي (ت١٢٠هـ) روى عن آبائه وأجداده، وروى عنه عبد الرحمن بن الحارث[١٨].

والسدي، أبو محمد اسماعيل بن عبد الرحمن(ت١٢٧هـ)، روى عن أنس، وابن عباس، وروى عنه شعبة والثوري والحسن بن صالح[١٩] .

وإبان بن تغلب الكوفي(ت١٤١هـ) روى القراءة عن عاصم بن أبي النجود، وطلحة بن أبي مصرف، وسليمان الأعمش، وسمع منه شعبة وأبن عيينة وحماد بن زيد وهارون بن موسى[٢٠].

ومحمد بن السائب الكلبي(ت١٤٦هـ) روى عن أبي صالح ، وعن ابن عباس، روى عنه سفيان الثوري ومحمد بن اسحق[٢١].

وأبو حنيفة النعمان(١٥٠هـ) رأى أنس، وروى عن عطاء بن أبي رباح، وتفقه على حماد بن سليمان[٢٢].

وسفيان بن سعيد بن مسروق الثوري(ت١٦١هـ) أخذ الفقه عن أبي حنيفة، روى عنه شعبة وابن عيينة، و أبو الأحوص، وروى عن ابن عباس و عكرمة[٢٣].

ورقاء بن عمر(ت نيف وستين ومائة هـ) حدث عن عمرو بن دينار، ومحمد بن المنكدر، وأبي اسحق، وعبيد الله بن أبي يزيد المكي، ومنصور بن المعتمر، وروى عنه إسحاق الأزرق، وشبابة، وأبو داود ، وقبيصة، وأبو عبد الرحمن المقريء، وأبو غسان النهدي، والفريابي، وعلي بن الجعد[٢٤].

والكسائي: علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان (ت١٨٩هـ) تعلم القراءات عن سليمان بن أرقم، راوي قراءة الحسن البصري، وأخذ عن أبي عياش راوي قراءة عاصم بن أبي النجود، وابن عيينة قراءة عبد الله بن كثير، ولازم حمزة بن حبيب قاري الكوفة، وإليه انتهت رئاسة الإقراء بالكوفة بعد شيخه الزيات، وأخذ عنه كثير أمثال أبو عمر الدوري، وأبو الحارث الليث، وابن مهران الأصبهاني، وابن أبي سريج النهشلي، وأشهر تلاميذه ابو الحسن الأحمر، وأبو زكريا يحيى بن زياد الفراء[٢٥].

ووكيع بن الجراح(ت ١٩٦هـ) محدث حافظ ثبت فقيه عابد حجة، وهو أحد شيوخ الشافعي[٢٦].

وسفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ) محدث، سمع من عمرو بن دينار، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري، وأبي اسحق السبيعي، والأسود بن قيس، وعبد الله بن دينار، ومنصور بن المعتمر، وروى عنه الأعمش،وابن جريح،وشعبة، والشافعي، وعبد الله بن المبارك، وعبد الرحمن بن مهدي، واحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، واسحق بن راهوية[٢٧].

وأبو عمرو الشيباني(ت٢٠٦هـ) روى عنه ابنه عمرو، وأحمد بن حنبل، وابو عبيد القاسم بن سلام[٢٨].

والفراء:يحيى بن زياد(ت٢٠٧هـ) [٢٩].

وقبيصة السوائي: (ت٢١٥هـ) محدث، سمع مسعراً، والثوري، ومالك بن مغول، روى عنه أحمد بن حنبل، وأبو بكر بن أبي شيبة، وهناد بن السري[٣٠].

والفضل بن بكين(ت٢١٩هـ) حدث عنه البخاري، ومسلم، وروى عن سفيان الثوري[٣١].

وأبو شيبة(ت٢٣٩هـ) من حفاظ الحديث،سمع شريكا، وأبا الأحوص، وأخرج له البخاري، وروى عنه جرير، وعبدة وهشيم، والقاسم بن مالك وطلحة بن يحيى[٣٢].

وأبو سعيد الأشج(ت ٢٥٧هـ) حدث عنه مسلم والبخلري، حدث عن هشيم بن بشير، وأبي بكر بن عياش، وعبد الله بن إدريس، وعقبة بن خالد، وعبد السلام بن حرب، وأبي خالد الأحمر، وزياد بن الحسن بن فرات، وأبي معاوية، وحفص بن غياث، وإبراهيم بن أعين، ومحمد بن فضيل، وعبد الرحمن بن محمد المحاربي، والمطلب بن زياد، وروى عنه أبو زرعة، وأبوحاتم، ويعقوب الفسوي، وأبو بكر بن خزيمة، وأبو يعلى الموصلي، وزكريا الساجي، وعمر بن محمد بن جبير، ويحيى بن محمد بن صاعد، وإبو بكر بن أبي داود، وأبو القاسم البغوي، وعبد الرحمن بن أبي حاتم، وهناد بن السري الصغير[٣٣].

والحسين بن الفضل البجلي(ت٢٨٠هـ) سمع يزيد بن هرون، وعبد الله بن بكر السهمي، وأبا النضر، وشبابة، روى عنه محمد بن الأخرم، ومحمد بن صالح، ومحمد بن القاسم العتكي[٣٤].

وثعلب، ابو العباس أحمد بن يحيى(ت٢٩١هـ) [٣٥]

وفرات الكوفي، من أعلام القرن الثالث الهجري.

المطلب الثاني: دراسة تطبيقية لجهود المفسرين.

أ- خصائص التفسير في الكوفة:

مر التفسير في الكوفة بمرحلتين هما عصر الأئمة والصحابة، والثاني عصر التابعين، وسبب تمييز هاتين المرحلتين؛ لأن تفسير أهل البيت والصحابة يعد أحد المصادر المهمة والأساسية في معرفة المراد، فإنهم أدرى بذلك لما شهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعمل الصالح؛ لذلك فقد تميزت تفاسيرهم بخصال مهمة، تبلورت في قلة الاختلاف بينهم في فهم معانيه، فقد كان الكثير منهم ما يكتفي بالمعنى الإجمالي، ولا يلزمون أنفسهم بتفهم معانيه تفصيلاً، فالاقتصار على المعنى اللغوي الذي يفهموه هو أمل المراد، كما أنهم قد يعتمدون في فهم المعنى على سبب النزول، كما لا يخفى وجود الحيادية و عدم وجود الانتصار للمذاهب الفقهية، نظراً لاتحادهم في العقيدة، ولأن الاختلاف الفقهي ظهر بعد عصر الصحابة، كما تميزت هذه المرحلة بعد تدوين الآراء التفسيرية وخاصة في القرن الأول الهجري، وإنما نقل عن طريق الرواية، والتدوين ظهر في القرن الثاني الهجري، تأثر مفسرو القرآن الكريم في الكوفة بتفسير القرآن الكريم بالرأي، وجاء هذا عن ابن مسعود، الذي وضع الأساس لهذا النوع من التفسير.

أما خصائص التفسير في عهد التابعين فقد تميزت في تسرب الكثير من الإسرائيليات، والسبب في ذلك هو دخول الكثير من أهل الكتاب في الإسلام، مما عكس ما علق بأذهانهم من الأخبار المتعلقة بالصفات وأسرار الوجود وبداية الخليقة وقصص الأنبياء، فضلاً عن وجود الجو الملائم لسماع هذه التفاصيل، وهي النواة الأولى لظهور الخلاف المذهبي، فقد ظهرت بعض التفاسير التي تعكس وجه نظر مذهب المفسر كما هو باد في طيات كل تفسير، الأمر الذي أدى إلى ظهور مذهب الاعتزال؛ لذلك وعلى وجه العموم تميزت المرحلتين بطريقة التحفيظ والتسميع في القرآن الكريم.

أما بعد أن ابتعد التفسير عن عصر الصحابة والتابعين إلى عصر العلماء، فقد بدى واضحا تطور حركة الترجمة والنشر، فنقلت إلى العربية جملة من معارف الأمم الأخرى، فترجمت كتب الفلسفة اليونانية بجميع فروعها من طب، ومنطق، وطبيعة، وكيمياء، ونجوم، وعلوم الرياضيات، وعلم التنجيم، وتاريخ الأمم الفارسية، واليونانية والرومانية، إلى جانب الديانات الأخرى اليهودية والنصرانية والمجوسية، فقد سبب ذلك شيوع المصطلحات الفلسفية والمنطقية مما له الأثر في إثراء حركة الفكر وتوسع المباحث الكلامية توسعا كبيراً ترك آثاراً واضحة في علم التفسير[٣٦].

وفي هذا العصر انحسرت موجة الاعتزال التي تولى سندها المتوكل العباسي، والتي فتنت الأمة بمسألة خلق القرآن، والتي من جرائها ظلم واضطهد الكثير من علماء الحديث، وبالتالي ظهور أهل الحديث بالتنكيل بالمعتزلة[٣٧].

ومن العلامات البارزة في هذه المرحلة ظهور المدارس، وانتشارها وخاصة في القرن الرابع الهجري الذي شهد انتقالة نوعية وكمية في المعارف والعلوم على العموم، وفي علوم القرآن والتفسير على وجه الخصوص، وفيه جرى الفصل التام بين علم الحديث وبين علم التفسير، فقد كان علم الحديث يشمل علم الحديث، والتشريع والسيرة، وهذا ما بدى من خلال تصانيف العلماء في القرون الثلاثة الأولى الهجرية، فقد كانت كتب التفسير هي عبارة عن تجميع لمرويات الحديثية، كما أنه ظهرت في هذه المرحلة المصنفات التفيسيرية الكبرى، كما و كثرة التأليف في كافة المجالات الفكرية والعلمية.

ب- أثر الإسلام في الحركة العلمية في الكوفة:

رافقت الحركة العلمية الفتوحات الإسلامية في جميع الأمصار التي فتحها المسلمون شرقاً وغرباً، وقد اشترك في هذه الفتوحات أغلب الصحابة، ومن خلال هؤلاء تعلم الناس مبادئ دينهم، فقد تكونت الحلقات العلمية، التي تبلورت إلى مدارس فكرية لها مناهجها في تفسير القرآن بعد ذلك، فالإسلام له الأثر العميق في تطوير الحركة العلمية؛ لأن مبادئ الإسلام غايتها هو محاربة الجهل والأمية، ونشر العقائد والمعارف والعلوم الدينية فقد أسهم القرآن الكريم في تثوير الحركة العلمية في الكوفة، وهو دستور الإسلام وأن حاجة المسلم إلى معرفة كتاب الله وتلاوته، حاجة ضرورية، فلا

صلاة بدونه، ولا يتأتى للمسلم معرفة حدود الإسلام ونواهيه مدونة إلا من القرآن الكريم فهو المدونة الوحيدة المتاحة لذلك(من أهم أهداف الإسلام تزكية النفوس والارتقاء بها إلى مراتب سامقة لإبعادها عن أدران الأهواء وجموح الشهوات، كما يقدم الدين الإسلامي أيضاً معايير دقيقة واضحة للأعمال البشرية تجد فيها النفوس الحوافز الكافية لكل عمل، حوافز نحو الخير، وزواجر عن الشر فكراً وعملاً واعتقاداً. لقد جاء القرآن الكريم بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب وتصوير منافع الخير وأهله في أجمل صورة، وإبراز الشر وأهله في أقبح وأذم حال، وبيان المآل الطيب للخير الذي تشرئب له النفوس، والعاقبة الوخيمة للشر الذي تنفر منه النفوس، كل ذلك ليؤصل في النفس عمل الخير وحبه والبعد عن كل ما هو ضار وغير نافع، وهذا هو أهم أساس للمنهج العلمي الراشد، ألا وهو اشتغال الإنسان بما يعود عليه وعلى بني جنسه بالنفع ويعرض عن توافه الأمور وسفاسفه)[٣٨].

كما أن اختلاف القراءات سبب في إثارة الحراك الفكري في الأمصار بصورة عامة والكوفة بصورة خاصة، وهذا الاختلاف سبب رئيسي في العناية بالقرآن الكريم، تشجيع الإسلام على العلم والمعرفة ومحو الأمية(إلى جانب هذا فقد حض القرآن الكريم على التعلم ودعا إلى اكتساب العلم ونشره بين الناس ورفع من شأنه ومن شأن العلماء ، وإن كان هذا قاصراً على العلم الشرعي غير أن فيه دلالة على أهمية السعي والبحث لتحقيق الخير للعباد ، لقد جاء لفظ العلم ومشتقاته في القرآن الكريم حوالي ٧٦٥ مرة ن وبلغت الآيات التي تدعو إلى التأمل والتفكر والتدبر والاعتبار وغير ذلك من استشفاف حقائق الكون نحو ٧٥٠ آية)[٣٩].

فضلاً عن دخول قوميات أخرى في الإسلام الأمر الذي حدا بهم إلى معرفة تعاليم الدين الجديد وتعلم لغة القرآن الكريم؛ لأن الصلاة لا تكون إلا باللغة العربية (ولما فتحت البلاد كان العنصر العربي هو الحاكم، فكان لابد له أن يتعلم وأن يقرأ ويكتب، فكثرت القراءة والكتابة خاصة في عهد التابعين، كذلك هؤلاء الداخلون في الإسلام من غير العرب اضطروا إلى تعلم اللغة العربية لدينهم ولدنياهم، حتى اضطروا لتعلم النحو لإصلاح لغتهم)[٤٠].

كما أن متطلبات الحياة الجديدة التي رافقت الإسلام أظهرت الحاجة المتزايدة إلى العلم والتعلم، مثل معرفة لغات البلاد، وتدوين أسماء الجند ومعاشاتهم، وإحصاء الغنائم واحتساب الخمس وكتابة العهود واحتساب الخراج فاستحدث الديوان وهي لا شك من فعاليات تستلزم عددا من المعارف العلمية.

حفظ الحقوق للرعية فرض وجود منصب للقضاء، مما حدا بالتعلم لتحصيل المعارف اللازمة لتقويم منصب القضاء، كالتفقه في الدين ومعرفة الأنساب وفتح السجلات،وهناك أختام وسجلات وصكوك .

وبملاحظة استتباع الحضارة عكس بناية المساجد والدور والقصور وغيرها من مستلزمات التقدم الحضاري، فقد شجع الإسلام على نشر المعارف التي ترفع بالأمة الإسلامية، وذلك من خلال القرآن كالقصص، وتجلى ذلك في أثر الإسلام في اللغة والأدب على العموم والشعر.

وبالتالي تطور الفقه الإسلامي وعلم الأصول وذلك لحاجة المجتمع للتشريع لأن الحياة اصطبغت بالصبغة الدينية، لذلك نظم التشريع حياة الناس الاجتماعية والاقتصادية، وبذلك نشط الدرس القرآني، والحديثي، والفقهي ليؤسس قاعدة حركة تشريعية.

كما لا نغفل في كون انتشار ثقافات الأمم الأخرى التي اعتنقت الإسلام، وظهور بعض المهن المستحدثة، ومن ذلك الطب، ومما ساعد على ازدياد النشاط العلمي في هذا العهد كثرة المسلمين، واحترام العلماء.

أضف إلى هذا ما جاء في القرآن الكريم من قصص الأمم الغابرة المليئة بالمواعظ والعبر والتي تطلق الفكر للتأمل في رحاب واسعة .لقد كان أسلوب القرآن الكريم واضحاً بيناً يخاطب العقل ويلامس العواطف ويهز النفوس بصدقه وروعته وبيانه ، وكان تدرجه وانتقالاته وفق مدارك البشر وملكاتهم حتى اعترف بذلك أعداء الإسلام ، حيث لا مناص لهم من ذلك[٤١]

ج- أثر النشاط الفكري الإسلامي في تفسير القرآن الكريم :

أثرت الحركة الفكرية في الكوفة جملة من العوامل أدت إلى ازدهار ها وتطورها، ومن ذلك ترجمة الكثير من مؤلفات العلوم العقلية، فضلاً عن أن الكوفة حاضرة الأمة الإسلامية، كما أن من الأسباب المهمة في تطوير الحركة الفكرية استخدام الورق الذي كان صناعته مظهرا من مظاهر التطور الحضاري، كما أن اتساع القاعدة الحضارية في العراق وما ينشأ عنها من مسائل دفع العلماء والفقهاء إلى تفريع الفروع وحتى غير المتصور وقوعها آنيا منهم وقد أدى تضخيم العلوم ولاسيما الفقه وكثرة مسائله[٤٢].

وكان من سنة العمران وطبيعة الاجتماع ظهور التأليف وتراكم المعارف عند المسلمين الذي امتد قرنين من الزمن.

(إن أساس الحضارة أي حضارة على وجه الأرض يكون بمعرفة الإنسان لنفسه وواقعه وما يحيط به من أحياء وجمادات وما يمر به من سنين وما ينتظره من حياة ، ولا يكون هذا متوافراً بشكل صحيح وقاطع إلا باتصال الإنسان بخالقه وإتباعه لتعاليمه الصحيحة المنزلة من عنده، والتي تنظم حياته وتضع له الموازين القسط في كل تصرف وسلوك من غير أن تنتقص من نشاط معين أو تبالغ وتركز على أعمال محدودة وإن ظهر نفعها وغلب على الظن خيرها)[٤٣] .

قد تيقنت النفوس أن المعتقد الصحيح بلا شك ركيزة أساسية لقيام الحضارة العلمية؛ لأن حضارة الإسلام تقوم على رسالة سماوية نظامها الاجتماعي يقوم على أسرة متماسكة ونظامها الاقتصادي يعتبر المال وسيلة لا غاية، ويحترم الملكية الفردية غير المستغلة ، وثقافتها تستخدم العقل في كسب المعارف، فبالإسلام كانت حياة النفوس، وكان النور الهادي للناس، المبين لهم طريق الخير والفلاح، وكان لهم طريقاً للتقدم وقيام الحضارات التي هي في الواقع ذات جانبين رئيسيين يهتم الجانب الأول منها بحاجة البشر المادية وأسباب العيش الراغد، وهذا ينبثق مما يكتسبه الإنسان عن طريق التجربة والممارسة وما يتوصل إليه بالبحث العلمي والتجربة المستمرة . أما الجانب الآخر فيتعلق بالإنسان نفسه وتوفير الطمأنينة والأمن النفسي له ليعمل كعضو فعال في مجتمع خلاق تكسبه المودة والإخاء ويلبسه حلل الأخلاق الفاضلة النبيلة، ومرد هذا ومرجعه إلى تعاليم الله خالق الإنسان وموجد الحياة[٤٤] .

د-جهود المفسرين الكوفيين في القرآن الكريم:

نستخلص مما تقدم أن جهود المفسرين الكوفيين برزت في اتجاه نصّي يمثله تلامذة الإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق dونشأت عنه طبقتان تقيدت بنقل النصوص رواية وكتابة، وكان في طليعة الرواة زرارة بن أعين الكوفي، وفي طليعة المؤلفين فرات بن إبراهيم الكوفي.

والاتجاه الاجتهادي يمثله ابن مسعود، وجملة من تلامذته، وفي طليعتهم مسروق بن الأجدع والأسود بن يزيد والربيع بن خثيم، وعامر الشعبي بدليل ما أوثر عن ابن مسعود : (من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن)، وتثوير القرآن يعني التدبر فيه، والبحث عن جزئياته، والعكوف على حيثياته الكبرى، وفي هذا دعوة واضحة إلى الاجتهاد، وإعمال الفكر مما تتسع له دائرة علوم القرآن في ميادينها عند رد الأصول إلى الفروع، والنظم إلى متعلقات التركيب، واللغة إلى جذورها في التصريف والاشتقاق .

كانت هذه الجهود بما أبقت لنا من تراث تفسيري ضخم يعتمد الرواية حيناً، والاستنباط العقلي حيناً آخر سبيلاً إلى نشوء حركة التفسير التسلسلي المنظم عند العرب والمسلمين فبدأ ذلك متكاملاً واستمر العطاء الجزل إلى اليوم حافلاً بتفسير القرآن بالقرآن، والتفسير البياني، التفسير التشريعي، والتفسير المعجمي، والتفسير الموضوعي، وكان البعد الاحتجاجي متوافراً في التفسير الكلامي والوعي الفلسفي، والأثر العرفاني، والمنهج الاشاري، وكان المناخ العقلي يتقلب بين شؤون الجدل المنطقي، وسمات الروح الصوفي، فصقلت الحياة العقلية بمزيج من الآراء الكلامية يتخير من ثمارها العربي ما أراد[٤٥].

وكان هذا الزخم الحضاري حرياً بطرح كل الفروض الفكرية في رحاب العربية ولغتها الفياضة، وشعاع متألق لا يخبو، هذا كله إلى جنب علوم القرآن وما أورثته للعربية من التفتح على آفاق جديدة في ظاهرة الوحي، وأسباب النزول، وجمع القرآن، وخضم القراءات، وحياة النسخ، ومجال الأمثال، وطرق التشريع، وإرساء المصطلح في المحكم والمتشابه، والمجمل والمبين، والخاص والعام، والمطلق والمقيد، وما أضاف ذلك من تنظير فجائي في لغة الجدل، وعالم الحجاج، مما كانت معه العربية حافلة بقيّم خلاقة جديدة، نوّرها القرآن في علومه [٤٦].

ومن ذلك شذرات من جهود مفسري الكوفة الذين طوعوا جهودهم في خدمة القرآن الكريم:

قال علي a في قوله تعالى: ((**وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ**)): (هو بيت في السماء الرابعة بحيال الكعبة ، تعمره الملائكة بما يكون منها فيه من العبادة، وروي ذلك عن علي عليه السلام وابن عباس ومجاهد . قال علي عليه السلام يدخل كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون فيه . وقال الحسن البيت المعمور : البيت الحرام . وقال أمير المؤمنين عليه السلام ومجاهد وقتادة وابن زيد هو السماء)[٤٧].

وفي تفسير قوله تعالى : ((**وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا**))[٤٨]، قال علي : (واختلفت الروايات فيه فروي عن أبي صالح أنه قال : قاولت فيه عكرمة ، فقال عكرمة : قال ابن عباس هي الخيل في القتال . فقلت أنا : قال علي عليه السلام : هي الإبل في الحج ، وقلت : مولاي أعلم من مولاك . وفي رواية أخرى أن ابن عباس قال : هي الخيل ، ألا تراه يقول : (فأثرن به نقعا) فهل تثيره إلا بحوافرها، وهل تضبح الإبل ؟ إنما تضبح الخيل . قال علي عليه السلام : ليس كما قلت . لقد رأيتنا يوم بدر، وما معنا إلا فرس أبلق للمقداد بن الأسود. وفي رواية أخرى لمرثد بن أبي مرثد الغنوي وروي عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس، أنه قال: بينما أنا في الحجرة جالس، إذ أتاني رجل، فسأل عن العاديات ضبحا، فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله، ثم تأوي إلى الليل، فيصنعون طعامهم، ويورون نارهم. فانفتل عني، وذهب إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو تحت سقاية زمزم . فسأله عن العاديات ضبحا فقال : سألت عنها أحدا قبلي ؟ قال : نعم . سألت عنها ابن عباس . فقال : الخيل حين تغير في سبيل الله . قال : فاذهب فادعه لي . فلما وقف على رأسه قال : تفتي الناس بما لا علم لك به، والله إن كانت لأول غزوة في الإسلام بدر، وما كانت معنا إلا فرسان : فرس للزبير، وفرس للمقداد بن الأسود، فكيف تكون العاديات الخيل؟ بل العاديات ضبحا الإبل من عرفة إلى مزدلفة ، ومن مزدلفة إلى منى . قال ابن عباس : فرغبت عن قولي ، ورجعت إلى الذي قال علي عليه السلام)[٤٩].

قال تعالى: ((**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**))[٥٠]، روى ابن جرير بسنده عن علقمة، قال: (إن سلمة بن يزيد الجعفي، قال: يا رسول الله إن أُمنا هلكت في الجاهلية، كانت تصل الرحم، وتقري الضيف وتفعل وتفعل، فهل ذلك نافعاً شيئاً؟ قال: لا)[٥١].

وعن مسروق أخرج ابن جرير تفسير قوله تعالى: ((**وَاللائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا**))[٥٢]، قال: (قال مسروق: قد بلغ ابن مسعودA أن عليا a يقول آخر الأجلين، فقال : ما شاء لاعنته، فإن التي في النساء القصرى نزلت بعد البقرة[٥٣]) .

وفي قوله تعالى: ((**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**))[٥٤]، قال القرطبي: (والجمهور من العلماء من الصحابة والتابعين يجعلون الأخوات عصبة البنات وإن لم يكن معهن أخ، غير ابن عباس، فإنه كان لا يجعل الأخوات عصبة البنات، وإليه ذهب داود وطائفة، وحجتهم ظاهر قول الله تعالى: " إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ " ولم يورث الأخت إلا إذا لم يكن للميت ولد، قالوا: ومعلوم أن الابنة من الولد، فوجب ألا ترث الأخت مع وجودها، وكان ابن الزبير يقول بقول ابن عباس في هذه المسألة حتى أخبره الأسود بن يزيد : أن معاذاً قضى في بنت وأخت فجعل المال بينهما نصفين)[٥٥]

روى مرة الهمداني، عن ابن مسعود، عن أناس من أصحاب النبي قوله تعالى: ((اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ))[٥٦]، قال: (هو الإسلام)[٥٧].

روى بن جرير بسنده عن سعيد بن جبير في تفسير قوله تعالى: ((**لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**))[٥٨] حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : حدثني أبي، عن قتادة، عن سعيد بن جبير في الرجل يولي من امرأته قبل أن يدخل بها، أو بعد ما دخل بها ، فيعرض له عارض يحبسه، أو لا يجد ما يسوق : أنه إذا مضت أربعة أشهر أنها أحق بنفسها)[٥٩].

وفي تفسير الآية السابقة روى بن جرير عن إبراهيم النخعي : قال :(حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق، قال : أخبرنا معمر، عن الأعمش، عن إبراهيم: أن رجلا آلى من امرأته، فولدت قبل أن تمضي أربعة أشهر أراد الفيئة، فلم يستطع من أجل الدم حتى مضت أربعة أشهر. فسأل عنها علقمة بن قيس، فقال : أليس قد راجعتها في نفسك ؟ قال : بلى . قال : فهي امرأتك)[٦٠] .

ونقل عن الشعبي آراءً في التفسير ومن ذلك في تفسير الكلمات المقطعة :(فواتح السور من أسماء الله)[٦١].

وروي عن قيس بن مسلم تفسير قوله تعالى: ((**لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ**))٦٢. قال: (كانوا يمتنعون أن يأكلوا مع الأعمى والمريض والأعرج؛ لأنه لا ينال ما ينال الصحيح فنزلت الآية)[٦٣].

وروي عن زيد بن علي في تفسير قوله تعالى: ((**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ**))[٦٤]،نه قال: (حدثنا أبو كريب حدثنا ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى، عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع، عن عبد الرحمن بن الحرث المخزومي، عن زيد بن علي، عن عبيد الله بن أبي رافع ، عن علي قال : لما أصبح رسول الله (ص) بالمزدلفة، غدا فوقف على قزح ، وأردف الفضل، ثم قال : هذا الموقف ، وكل مزدلفة)[٦٥].

ومن جهود مفسري الكوفة تفسير السدي قوله تعالى: ((**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**))، قال السدي: (المراد من النصارى النجاشي، وأصحابه، وهذا من إفراد السدي، فإن النجاشي مات بأرض الحبشة وهو ملك الحبشة، وصلى عبيه النبي يوم مات وأخبر به أصحابه، وأخبر أنه مات بأرض الحبشة)[٦٦].

وفي تفسير قوله تعالى : ((**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**))[٦٧]، قال إبان بن تغلب:(الاستثناء هنا منقطع، وهو قول جمهور المفسرين: والمعنى لكن المؤمن يقتل المؤمن خطأ)[٦٨].

قال ابن مسعود في تفسير قوله تعالى : ((**وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**))[٦٩]: (حدثنا عبد الرحمن نا إبراهيم نا آدم نا إسرائيل عن أبي إسحاق الهمذاني عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود في قوله العذاب الأدنى قال سنون أصابت قوما قبلكم)[٧٠]، اقتصر البحث على هذه النوادر من جهد مفسري المدرسة الكوفية بمرحلتيها وبشقيها النصي والاجتهادي، وهو بلا شك غيض من فيض.

الخاتمة:

تكونت مدارس التفسير، والتي تتلمذ فيها كبارُ التابعين الذين أخذوا عن الصحابة أنفسهم، ومن هذه المدارس : مدرسة الكوفة وهي محل البحث، فقد تَصَدَّر أهل البيت وهم القطب الذي تدور عليها

رحى المدارس التفسيرية جميعها، فالإمام علي هو رأس علم التفسير واليه ينتهي ناهيك عن أهل البيتd الذين هم الامتداد لعلي بن أبي طالب aكمدرسة الإمام الباقرa والإمام الصادق.

إن جهود المفسرين الكوفيين برزت في اتجاه نصّي يمثله تلامذة الإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق تمثله طريقتان طريق الرواية ، ويمثلهم زرارة بن أعين الكوفي، وطريق التأليف ويمثلهم فرات الكوفي.

والاتجاه الاجتهادي يمثله ابن مسعود وجملة من تلامذته، وفي طليعتهم مسروق بن الأجدع والأسود بن يزيد والربيع بن خثيم، وعامر وهذا الاتجاه يعني التدبر فيه، والبحث عن جزئياته، والعكوف على حيثياته الكبرى، وفي هذا دعوة واضحة إلى الاجتهاد، وإعمال الفكر مما تتسع له دائرة علوم القرآن في ميادينها عند رد الأصول إلى الفروع، والنظم إلى متعلقات التركيب، واللغة إلى جذورها في التصريف والاشتقاق .

هذا فيما يخص منهج الذي اتبعته مدرسة الكوفة، أما فيما يخص المراحل التي مر بها التفسير فقد مر بثلاث مراحل، عصر الأئمة والصحابة، والثاني عصر التابعين، والثالثة عصر العلماء وسبب تمييز هذه المراحل؛ لأن تفسير أهل البيت والصحابة يعد أحد المصادر المهمة والأساسية في معرفة المراد، لذلك فقد تميزت تفاسيرهم بخصال مهمة، قلة الاختلاف بينهم في فهم معانيه، يكتفون بالمعنى الإجمالي، الاقتصار على المعنى اللغوي، يعتمدون على سبب النزول في فهم المعنى، اتحادهم في العقيدة، ولأن الاختلاف الفقهي ظهر بعد عصر الصحابة، لم يدون التفسير وخاصة في القرن الأول الهجري، وإنما نقل عن طريق الرواية.

أما المرحلة الثانية هي مرحلة التابعين فقد تميزت بالإسرائيليات، ظهور الخلاف المذهبي، ظهور الاعتزال؛ على العموم تميزت المرحلتان بطريقة التحفيظ والتسميع في القرآن الكريم.

المرحلة الثالثة عصر العلماء، فكانت سماته، تطور حركة الترجمة والنشر، إثراء حركة الفكر وتوسع المباحث الكلامية توسعا كبيراً ترك آثاراً واضحة في علم التفسير، وشيوع المصطلحات الفلسفية والمنطقية. وفي هذا العصر انحسرت موجة الاعتزال وبالتالي ظهور أهل الحديث، وظهور المدارس التفسيرية والمصنفات التفسيرية الكبرى، الفصل التام بين علم الحديث وبين علم التفسير.

الهوامش:

١ – النحل:٨٩.
٢ – ظ:جهود المفسرين العراقيين في القرون الأربعة الهجري الأولى–علي مجدي علاوي العبيدي:١٨.
٣ – النحل: ٤٤.
٤ –ظ:التفسير والمفسرون–محمد حسين الذهبي:١/٥١–٥٣،مطبعة السعادة،القاهرة،١٣٨١هـ
٥ –ظ:الاستيعاب:٣/٢٦.
٦ –ظ:الاصابة:٤/٩٨٧.
٧ –ظ:أسد الغاب: ٥/٣٠٦.
٨ –ظ:الطبقات الكبرى:٤/٥٣–٦٧.
٩ –ظ:تاريخ الاسلام:١/١٣٩.
١٠–ظ:سير أعلام النبلاء:٤/٥٨.
١١ –ظ:معرفة القراءالكبار:١/٦٢.
١٢ –ظ:تقريب التهذيب:١/١١١.
١٣ –ظ:تهذيب التهذيب:١/٢٢٩.
١٤ –طبقات الفقهاء:٦٢.
١٥ –ظ:م.ن
١٦ –ظ:طبقات بن خياط: ١٥٧.
١٧ –ظ: طبقات المقسرين– الأدنروي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة،ط١، ١٩٩٧م،١/١٥.
١٨ –ظ: الطبقات– ابن خياط:٢٥٨.
١٩ –ظ:سيرأعلام النبلاء:٥/٢٦٤.
٢٠ –ظ:تهذيب الكمال–٢/٦–٨.
٢١ – ظ:المعرف– ابن قتيبة الدينوري:٢٣٣، تحقيق وتقديم: ثروت عكاشة، دار المعارف– مصر، ط٢,١٩٦٩م.
٢٢ – ظ:طبقات المفسرين، الأدنوي:١/١٨–١٩.
٢٣ –ظ:الفهرست: ٢٢٥.
٢٤ – ظ:التاريخ الكبير:٨/١٨٨.
٢٥ – ظ:تاريخ بغداد:١١/٤٠٣.
٢٦ – ظ: الطبقات الكبرى:٦/٢٥٧.
٢٧ – ظ:تهذيب التهذيب:٤/١١٧.
٢٨ – ظ:الفهرست: ٦٨.
٢٩ –ظ:الفهرست:٦٦.
٣٠ – ظ:التاريخ الكبير:٤/٩٥.

٣١ –ظ:الطبقات الكبرى: ٦/٤٠٠.

٣٢ – ظ:التاريخ الصغير:٢/٢٠٨.

٣٣ –ظ:سير اعلام النبلاء:٢٣/١٧٤.

٣٤ –ظ:لسان الميزان:٢/٣٠٧.

٣٥ –ظ:تاريخ بغداد:٥/٢٠٤.

٣٦ – ظ: ضحى الإسلام:٢/٨–٩.

٣٧ – ظ: نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي، حسن علي عبد القادر، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٣، ١٩٤٥م، ٢٢٢.

٣٨ – ملامح الحركة العلمية في الإسلام – المصدر : مجلة العلوم والتقنية ، العدد ٥٦– إبراهيم المعتاز

٣٩ – ملامح الحركة العلمية في الإسلام – المصدر : مجلة العلوم والتقنية ، العدد ٥٦– إبراهيم المعتاز

٤٠ –فجر الاسلام– بحث عن الحياة العقلية في صدر الاسلام إلى آخر الدولة الأموية، أحمد أمين ، دار المعارف، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٦٩م–١٤٢–١٤٣.

٤١ –ملامح الحركة العلمية في الإسلام – المصدر : مجلة العلوم والتقنية ، العدد ٥٦– إبراهيم المعتاز

٤٢ –ظ: النشاط الفكري في العراق، هاشم يحيى الملاح، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٣:٥٨.

٤٣ – ملامح الحركة العلمية في الإسلام – المصدر : مجلة العلوم والتقنية ، العدد ٥٦– إبراهيم المعتاز

٤٤ – ملامح الحركة العلمية في الإسلام – المصدر : مجلة العلوم والتقنية ، العدد ٥٦– إبراهيم المعتاز

٤٥ –ظ:نظرات معاصرة–محمد حسين الصغير:٦٩.

٤٦ –ظ:نظرات معاصرة–محمد حسين الصغير:٦٩.

٤٧ – ظ:التبيان – الشيخ الطوسي – ج ٩ – ص ٤٠٢

٤٨ –العاديات :١.

٤٩ – تفسير مجمع البيان – الشيخ الطبرسي : ١٠ / ٤٢٣.

٥٠ – الزلزلة : ٨ .

٥١ –جامع البيان:٣٠/٢٦٩.

٥٢ – الطلاق:٤.

٥٣ –جامع البيان: ٢٨/١٤٢.

٥٤ –النساء:١٧٦.

٥٥ –الجامع لأحكام القرآن– القرطبي:٦/٢٩.

٥٦ – الفاتحة : ٦ .

٥٧ –جامع البيان: ١/٧٥.

٥٨ – سورة البقرة: ٢٢٦.

٥٩ – جامع البيان – إبن جرير الطبري : ٢ / ٢٠٧

٦٠ –م،ن:٢/٤٢٣.

٦١ –م، ن: ٨٧/١.
٦٢ – النور:٦١
٦٣ –أحكام القرآن:الجصاص:تحقيق:محمد صادق قمحاوي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ:٤٣٢/٣.
٦٤ – سورة البقرة: ١٩٨.
٦٥ – جامع البيان – إبن جرير الطبري :١٨٠/٤.
٦٦ – تفسير القرآن العظيم– التستري:٨٥/٢.
٦٧ – النساء:٩٢.
٦٨ –البحر المحيط: ٤٣٣/٣.
٦٩ – السجدة: ٢١.
٧٠ – تفسير مجاهد – مجاهد بن جبر : ٢ / ٥١١.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم
أحكام القرآن
أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص(ت٣٧٠هـ)
تحقيق محمد صادق قمحاوي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

الاستيعاب في معرفة الأصحاب
أبو عمر يوسف النمري القرطبي(ت٤٦٣هـ)
تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت،ط١، ١٤١٢هـ.

أسد الغابة في معرفة الصحابة
عز الدين بن الجزري–ابن الأثير(ت ٦٣٠هـ)
المكتبة الاسلامية–طهران.

الإصابة في تمييز الصحابة
أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي الكناني العسقلاني– ابن حجر(ت ٨٥٢هـ)
تحقيق محمد علي البجاوي، دار الجيل، بيروت.ط١، ١٤١٢هـ.

البحر المحيط
أبو عبد الله أثير الدين محمد بن يوسف بن حبان الأندلسي(ت ٧٥٤هـ)
مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٩هـ.

تاريخ الاسلام
أبو عبد الله شمس الدين ابن قايماز الذهبي(٧٤٨هـ)
تحقيق د-عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت،ط٢، ١٤٠٩هـ.

التاريخ الصغير
أبو عبد الله محمد البخاري الجعفي(ت٢٥٦هـ)
تحقيق: محمود ابراهيم زايد-دار الوعي-حلب-مكتبة دار التراث، القاهرة،ط١، ١٣٩٧هـ.

التاريخ الكبير
أبو عبد الله محمد البخاري الجعفي(ت٢٥٦هـ)
الناشر : المكتبة الإسلامية - ديار بكر - تركيا

تاريخ بغداد
أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي(ت٤٦٣هـ)
دار الكتب العلمية-بيروت.

التبيان
الشيخ الطوسي(ت٤٦٠هـ)
تحقيق : تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي-ط١، ١٤٠٩هـ -مطبعة ونشر مكتب الإعلام الإسلامي -دار إحياء التراث العربي

تفسير القرآن العظيم
أبو محمد سهل بن عبد الله التستري(ت٢٨٣هـ)
مطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٣٢٩هـ.

تفسير مجاهد
مجاهد بن جبر(ت١٠٤هـ)
تحقيق: عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي، المنشورات العلمية، بيروت.

تفسير مجمع البيان
ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي(ت ٥٤٨هـ)

تحقيق وتعليق : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين-ط١، ١٤١٥ - ١٩٩٥ م
الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان
تقديم : السيد محسن الأمين العاملي / تمتاز هذه الطبعة بتحقيقات مهمة وإخراج فني عصري جيد

التفسير والمفسرون
محمد حسين الذهبي
مطبعة السعادة،القاهرة،١٣٨١هـ

تقريب التهذيب
أبو الفضل بن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)
تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا،ط١، ١٤٠٦هـ.

تهذيب التهذيب
أبو الفضل بن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)
دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

تهذيب الكمال في أسماء الرجال
أبو الحجاج جمال الدين المزي(ت٧٤٢هـ)
تحقيق: د- بشار عواد معروف- مؤسسة الرسالة-بيروت،ط١، ١٩٨٢م.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن
محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ)
دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان
أبو عبد الله شمس الدين القرطبي(ت٦٧١هـ)
تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط٢، ١٣٢٧هـ.

جهود المفسرين العراقيين في القرون الأربعة الهجري الأولى
علي مجدي علاوي العبيدي
ديوان الوقف السني-مركز البحوث والدراسات الاسلامية-ط١-١٤٣١هـ

سير أعلام النبلاء
أبوعبد الله شمس الدين ابن قايماز الذهبي(٧٤٨هـ)
تحقيق شعيب أرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩ ،١٤١٣هـ

ضحى الإسلام
أحمد أمين
مطابع الهيئة-المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

طبقات الفقهاء
أبو اسحق إبراهيم الشيرازي(ت٤٧٦هـ)
تحقيق خليل الميس، دار القلم، بيروت.

الطبقات الكبرى
أبو محمد بن منيع الزهري(ت٢٣٠هـ)
قدم له د-إحسان عباس، دار صادر-بيروت، ١٩٦٨م.

طبقات المقسرين
الأدنروي
تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة،ط١، ١٩٩٧م

طبقات بن خياط
أبو عمر ابن خياط العصفري(ت٢٤٠هـ)
تحقيق:د-أكرم ضياء العمري، دار طيبة-الرياض، ط٢- ١٤٠٢هـ.

فجر الاسلام
أحمد أمين

بحث عن الحياة العقلية في صدر الاسلام إلى آخر الدولة الأموية
دار المعارف، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٦٩م.

الفهرست
أبو الفرج محمد ابن اسحق النديم الوراق البغدادي(ت٣٨٥هـ)

دارالمعرفة، بيروت–ط١، ١٣٨٥هـ.

لسان الميزان
أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي الكناني العسقلاني- ابن حجر(ت ٨٥٢هـ)
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،ط٣، ١٤٠٦هـ.

المعرف
ابن قتيبة الدينوري
تحقيق وتقديم: ثروت عكاشة، ط٢–دار المعارف– مصر، ١٩٦٩م.

معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار
أبوعبد الله شمس الدين ابن قايماز الذهبي(٧٤٨هـ)
تحقيق بشار عواد معروف، وشعيب أرناؤوط، وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط١، ١٤٠٤هـ.

ملامح الحركة العلمية في الإسلام
– إبراهيم المعتاز
مجلة العلوم والتقنية ، العدد ٥٦

النشاط الفكري في العراق
هاشم يحيى الملاح
دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٣:٥٨.

نظرات معاصرة في القرآن الكريم.
محمد حسين الصغير
منشورات دار المؤرخ العربي–ط١–بيروت– ١٤٢٢ هـ.

نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي
حسن علي عبد القادر
دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٣، ١٩٤٥م.

ABSTRACT
Commentators Alkoviin efforts in the Holy Quran

Dr.Hassan Kazem Asad al-Khafaji
College of Education / University of Maysan

Formed School of Kufa, in both its script and posed household d and discretionary and which issued it Abdullah bin Masood, brought out the popular and Qatada and issued household d They Pole who spin them millstone schools explanatory all, Imam Ali is the head of science interpretation and him end up not to mention household d who They stretch of Ali bin Abi Talib, a teacher of Imam al-Baqir a Imam Sadiq a
The efforts of the commentators Alkoviin was reveal the authenticity and seriousness, and absorb; Because submitted Kufa efforts Quranic, up to the peak emerging among the scientific efforts of the output of the human; because Kufa is leading the Islamic world countries enrich and note, and the greatest fame and being the center attraction of the number quite a few scientists.

Has adopted it in their Quran itself, and the Sunnah, and the impact of the San Arabs, and the reasons come down, and readings and Arabs felt, apparently by searching that interpretation Alkoviin adopted also on the interpretation of opinion and diligence. Months commentators School of Imam Ali bin Abi Talib, a Abdullah bin Masood, the most famous disciples Alqamah bin Qais and mugged once Hamdani, Amer popular and Harith bin Qais and Amr ibn Sharhabeel and Obeida and black.

The the commentators Alkoviin efforts emerged in the direction of text represented by students of Imam Muhammad al-Baqir and Ja'far al-Sadiq d represents two ways through the novel, and represented Zaraarah ibn eyes Cove, and by authoring and represented Furat al-Kufi.

The trend teaching represented Ibn Masood and a number of his students, at the forefront stolen bin Alojda and black bin over and spring bin Kthim, and Amer This trend means forethought in it, and the search for the main points, and getting down on merits major, and in this clear call to diligence, and thought, which fits in a circle Quranic sciences in their respective fields at the return of assets to the branches, and to belongings installation systems, and language to its roots in the discharge and derivation.

This regarding curriculum followed by schools Kufa, Regarding stages undergone by the interpretation has passed three stages, the era of the imams and companions, and the second era of their followers, and the third era scientists and cause discrimination these stages; because interpretation of the household and companions is a important sources and basic knowledge to be, so it has been characterized Tvassiarham qualities are important, the lack of difference between them in understanding the meaning, content themselves sense overall, only the linguistic meaning, depending on the cause down to understand the meaning,

their union in faith, and because the difference idiosyncratic appeared after the age of companions, not logging interpretation, especially in the first century AH, but move through the novel,

The second stage is the stage of followers has marked Balasraúillat of sectarian division, the emergence of retirement; generally characterized by phases manner memorization and recitation of the Qur'an.
Phase III era scientists, was characterized, the evolution of the movement of translation and publishing, enriching the movement of thought and verbal expansion detective significant expansion Leaving the obvious effects in the science of interpretation, and the prevalence of philosophical and logical terms. In this the wave receded retirement age and thus the emergence of modern people. The emergence of schools, total separation between modern science and the science of interpretation.

The search came in two axes:

I: was titled: The Genesis of interpretation.

The talk in this round axis in a historical perspective of interpretation in Kufa, and prominent commentators Alkoviin.

II: An Empirical Study of the efforts of the commentators.

In this configuration, try to see the properties of interpretation in Kufa, and to highlight the impact of Islamic thought in the interpretation of the Koran through the study of the most important commentaries that appeared in the school of Kufa.